فاعلية الاغتراب الاجتماعي في شعر أبي العلاء المعرّي

م.د. عدنان مشعل رشيد

جامعة الانبار كلية القانون والعلوم السياسية

ملخص البحث

الاغتراب عند أبي العلاء بكل اشكاله تجسيدٌ لصفاته وسلوكه وما رافقهما من معاناة وألم وشقاء . إذ إنَّ الاغترابَ عنده اتخذ أبعاداً واقعيةً وأخرى نفسية واجتماعية ، ولاسيما وانَّ الأحداثَ قد عَصَفتْ بحياتهِ وجعلته يشعرُ بالنفور عن الكثير من جوانب الحياة . فالقيمُ والعادات والأعراف الفاسدة اذكت لهيَبهُ وحدته عنده بسبب خوفه من الله وورعه وزهده وتقواه، إنَّ شعرَ الاغتراب عند المعرّي شعر ألمٌ وعدمُ رضا بالفقر، والبؤس، والجهل، والشقاق. في هذا البحث حاولت أن أبيّن مفهومَ الاغتراب بشكلٍ عام ثم الاغتراب الموضوعي ولاسيما الاغتراب الاجتماعي الذي نخصه بالدراسة والبحث .

Abstract

The alienation of Abu al-Ala in all its forms is an embodiment of his qualities and behavior and the accompanying suffering, pain and misery. As alienation has taken on real dimensions and psychological and social, especially as the events have affected his life and made him feel alienated from many aspects of life. The values, customs and corrupt traditions have lent his flame and unity to him because of his fear of God and his riches and asceticism and piety, if the hair of alienation at the hair of pain and lack of satisfaction with poverty, misery, ignorance, and discord. In this research I tried to explain the concept of alienation in general and then the substantive alienation, especially the social alienation that we are specialized in study and research.

مقدمة :

أبو العلاء المعرّي : أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّي التنوخي ولد في المعرة سنة (٣٦٣ ه) وتوفى فيها سنة(٤٤٩ ه) أديب مبدع مؤلف بارع ذو فلسفةٍ فريدةٍ مثيرةٍ جدا، سيد الثقافة والفكر، و الأدب، في عصرٍ اتسم بالانحراف والفتن والتمزق على الصعيد السياسي، والفكري، والاجتماعي، والديني، عمل ومنذ البداية لتخليص زمانه من أوجاعه وهذا ما لمسناه في آثاره أمثال لزوم ما لايلزم، والفصول والغايات، وسقط الزند، ورسالة الغفران وغير ذلك. للمعري باع طويل في الأدب والفلسفة شغلت الناس فكتبت عنه واختلفت فيه.

وبقدر المستطاع سأوجز القول في مفهوم الاغتراب ودلالته عنده، سأتحدث بشكل يسير عن الاغتراب الاجتماعي من خلال اغترابه عن الناس، وعن قيم المجتمع، وأعرافه وعاداته التي كانت سائدة آنذاك.الاغتراب بحدّ ذاته المٌ وحسرةٌ ويأس وتشاؤم يرافقه بعض الأحيان تمرد وسخط أي ثوره ونقمة . والأدب بشكل عام والشعر على وجه الخصوص تعبير عن المجتمع وما يدور حوله ، وبهذا فإن المجتمع منبع الإبداع والعمل الفني . ونحن مع الإيمان المطلق الذي يرى المجتمع جزءاً من الوجود الذي هو أساس الفن والأدب ، والمبدع هو الذي يدرك الوجود في ذاته ثم يحاول التعبير عنه ثم تفسيره ، والمراد بالوجود الوجود بكلِ أشكاله طبيعي فكري اجتماعي نفسي . والشاعر بوصفه فنان ينظر إلى المجتمع من منظوره الذي تتحكم فيه عوامل تكوينية. فإن تفاعل مع المجتمع أو رفضه فلا يكون رفضه للمجتمع بقدر ما يكون للقيم والأعراف السائدة فيه .

الاغتراب المفهوم والدلالة

الاغتراب مفهوم فيه إشكالية واجهت الدارسين الذين بحثوا فيه منذ البدء ، بسبب الغموض والتعقيد في أشكاله وأنواعه . إذ لا يوجد شيء يمكن أن نسميه بالاغتراب الشامل يجمع كل أنواعه ، فهناك أنواع كثيرة لا تزال موجودة أو ستأتي إلى الوجود لاحقا بمختلف الاتجاهات والدلالات الفلسفية والاجتماعية [١] سأوجز القول في مفهومه ودلالته ثم أتحدث بشكل يسير عن أهم أنواعه وأكثرها انتشاراً لدى الشعراء ألا وهو الاغتراب الاجتماعي ، وبالتحديد عند أبي العلاء المعرّي الذي اغترب عن الناس ، والقيم، والأعراف، والعادات التي كانت سائدة آنذاك .استخدم مفهوم الاغتراب بطرقٍ ومعانٍ مختلفة حتى أصبح غامضاً [٢] يصعب على الباحثين تحديد مفهومه فهم (يذهبون مذاهب مختلفة في تعريفة فلا يستطيعون تحديد أنواعه ومصادرة ونتائجه السلوكية على الأفراد و المجتمع فيقعون في الخلط مما يزيد غموض هذا المصطلح وضبابيته) . [٣]وعلى الرغم من غموضه سأضع معنى له في اللغة والاصطلاح ، وتحديد مفهومه ودلالته في اللغة العربية فهو مشتق من (غرب) ومثله (الغُرْبة) وغلبت علية دلالة النزوح عن المكان طوعاً أو كرهاً . [٤]

وجاء في اللسان أيضاً غَرَبَتَ الشمس وتَغْرِبُ غرُوباً ومغيرباناً : غابت في المغرب ، والغَرْب : الذهاب والتنحي عن الناس والوطن . [٥]ويعني (في الطب الاضطراب العقلي الذي يجعل الإنسان غريبا عن ذاته ومجتمعه، أما في الفلسفة فهو غربة الإنسان عن جوهره) .[٦]وقيل الغرابة مفارقة الأشياء المألوفة [٧] أي انعطاف وقلق تجاه المألوف فيصاب الإنسان بالتوتر والاضطراب النفسي فمهما حاول الاندماج مع المجتمع لم يفلح .أما في الاصطلاح فقد حظي مفهوم الاغتراب باهتمام طائفة كبيرة من العلماء ، إذ عمدوا إلى تعريفه

وتحليله وشرحه من وجهات نظر مختلفة ، إذ هو تطورت ماهيته تبعا لاختلاف المكان، والزمان فضلاً عن التطور الفلسفي الفكري، وإن بقيت الذات النفسية الفردية مرتكزاً للتنافر الذاتي للفرد أو التنافر مع غيره ، فهو مفهوم يرتكز على التجاذب بين القبول وعدم القبول ، بين السعادة والقهر بين الإحباط وعدمه . بمعنى أدق أنه صراع داخلي أو صراع بين الفرد والبيئة المحيطة للتخلص من الظلم والاستبداد والفساد وغير ذلك . الاغتراب عند(هيغل) يعني أن يغرب الإنسان نفسه إلى حد التنافر مع الذات وقهره [٨] بمعنى أدق (أن يضيع الإنسان شخصيته الأولى) .[٩] وعند (ماركس) تطابق مفهومه مع مفهوم سلب حرية الإنسان، إذ قال في تعريفه لها (أن يفقد الإنسان حرية واستغلاله الذاتي بتأثير الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والدينية) .[١٠]إنَّ الاغتراب حالة نفسية تكوّنها أسباب خارجية هذا ما يفسر من مفهوم (جان جاك روسو) له، إذ هو يرى أن الاغتراب اجتماعي في ماهيته ، ثم ينتقل إلى نفسي بخلاف المفكرين والباحثين يقول (أن تغترب يعني أن تعطي أو أن تبيع ،فالإنسان الذي يصبح عبدا لآخر، لا يعطي ذاته وإنما يبيع ذاته على الأقل من بقاء حياته ... أما الشعب فمن اجل ماذا يبيع حياته)[١١] وهو بهذا يدخل مفهوم الاغتراب في قلب نظريته للنقد الاجتماعي .وبهذا فإن الاغتراب في الغرب عبارة عن معادل موضوعي لواقع حياة اجتماعية مرّة وقاسية على الرغم من تعدد أشكاله على الصعيد الفردي والاجتماعي .أما على الصعيد الإسلامي أو العربي سنقف عند بعض الآراء ونتلمسها بدءاً من علماء الدين ، إذ تحدث عنه فقهاء الإسلام ووضحوا وقالوا :إن الاغتراب (مشترك بين الناس جميعها ، فالناس كلهم في الدار الدنيا غرباء ، لأنها ليست لهم بدار مقام وليست الدار التي خلقوا لها ، ولهذا وصف احد شيوخ الإسلام هذا النوع من الاغتراب بأنه لا يحمد ولا يذم)[١٢] وقد وجد هذا المفهوم اهتماماً لدى الأدباء المفكرين فأبو حيان التوحيدي أشار إليه في كتابه (الإشارات الإلهية) بقوله فأين أنت غريب قد طالت غربته في وطنه وقل حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه ؟ وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة به على الاستيطان ويقول في موضوع آخر الغريب من لبسته خرقة ، وأكلته سلقة وهجعته خفقة ، والغريب من غربت شمس جماله واغتربت عن حبيبه وعاذله، واغرب في أقواله وأفعاله ، وغرب في أدباره وإقباله واستغرب في طمره و سربال ، يا هذا الغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنه ... الغريب من أن حضر كان غائبا ، وإن غاب كان حاضراً، الغريب من إن رايته لم تعرفه، وإن لم تره لم تستعرفه [١٣] .

وقد عرض علماء النفس لهذا المفهوم محاولين ذكر أسبابه وبيان معانيه من بينهم (كينيسون) إذ يرى (إن هناك أسباباً ذاتية وأسباباً موضوعية تؤدي إلى الاغتراب ، ويرد الأسباب الذاتية إلى عوامل نفسية ديناميكية تحدث في نمو الفرد أما الأسباب الموضوعية فهي الضروف المحيطة بالفرد وما يكونها من عوامل حضارية ، و وثقافية ، و اجتماعيه ، و اقتصادية) .[١٤]

إن الاغتراب بوصفه فكرة (يقوم على أساس تميز بين وجود الإنسان وجوهره ، وعلى أن وجود الإنسان بصورته التي نراه عليها في المجتمع لا يتفق مع جوهره ، أو ما هو فيه حقيقة وإنما هو يختلف عنها بل ويتعارض معها ، فما هو كائن لا يتفق مع ما ينبغي أن يكون ، والإنسان المغترب ... هو الإنسان الذي لا يحس بفعاليته ولا أهميته ولا وزنه في الحياة ، وإنما يشعر بأن العالم الطبيعة والحزن بل والذات على عكس ذلك غريب عنه) [١٥] وعلى هذا الأساس يمكن القول: أن المغترب قد يفقد وزنه في مجتمعه فيشعر بالابتعاد أو الانفصال عنه وهذا في طبيعة الحال يعود إلى ضروف مادية وأخرى شخصية أي إنَّ الضروف المحيطة بالإنسان مهما كان نوعها تؤثر فيه وتجعل معاناته بارزة. وللاغتراب مفهوم خاصاً عند المعرّي ، إذ هو مفارقة نفسية لطبيعة الذات لانبثاقها من عدة عوامل كصفاته ، ومواقفه من الكون والطبيعة ، وإيمانه بالموت والحياة ، والعلاقة الاجتماعية وطبيعتها ، وصحة العقيدة والإيمان بالخير والشر ، إذ إن الإيمان سجيته وكل نفس من التراب واليه يقول :

وَجَدتُ سَجايا الفَضلِ في الناسِ غُربَةً ... وَأَعدَمَ هَذا الدّهرُ مَغرِبيهِ

وَإِنَّ الفَتى فيما أَرى بِزَمانِهِ ... لَأَشبهُ مِنهُ شَيمَةً بِأَبيهِ

وَوالِدُنا هَذا التُرابُ وَلَم يَزَلْ ... أَبَرَّ يَداً مِن كُلِّ مُنتَسِبيهِ

يؤَدّي إِلى مَن فَوقَهُ رِزقَ رَبِهِ ... أَميناً وَيُعطي الصَونَ مُحتَجِبيهِ [١٦]

إن اغتراب أبي العلاء لا يعني النزوح عن الوطن إنما هو اغتراب الروح والفكر اللذان هما أداتي الانسجام والاتساق بين المجتمع الذي ينتمي إليه وذاته . لذلك عانى اغترابا روحيا وجسديا فجعله يعتكف في بيته، والعمى وسيلة راحته لعدم رؤية الناس .

إن حياة أبي العلاء مجاهدة ومعاناة وشقاء منذ صغر سنه ولاسيما وانه فقد البصر وهو في الرابعة من عمره . وكل ما طال به العمر ازدادت إخبار الناس ازداد تمرده وغرابته على أساليب لم يطمئن إليها . فهو منذ حداثته يسيئ الظن بالناس ولا يطمئن إليهم يميل إلى

الانقباض عنهم فلعدم رضاه وجبت العزلة له . [١٧] والانغلاق على الذات الإنسانية يعني الشعور بالاغتراب الواعي الايجابي وليس الشعور والأنانية والانفصال [١٨] لهذا كان أبو العلاء يحبّ الحياة لا يكرهها أبدا ، [١٩] وهو الذي أحَبّها قبل الأربعين كسائر بقية الناس فقال :

أُحبُّكِ أيها الدّنيا كغَيري ... وأشراني قِلاكِ، ولستُ أشري
ونهوى العَيشَ فيكِ مع الرّزايا، ... وما طَوّلتِ من خَمسٍ وعَشر [٢٠]

بعد ذلك مال إلى التنسك ،والزهد والالتزام بمكارم الأخلاق ،والاكتفاء على وفق قناعة عقلية متشائمة عابسة بالقليل منها، [٢١] إذ هو كره الشر، وأحب الخير، واغتاض وحقد على الذين يقبلون على الحياة ليرتكبوا المبوقات ، [٢٢] كذلك كان متواضعاً لا يحب التكبر، ولا الإطراء والمدح والألقاب حتى لقبه قال عنه إنه لا يستحقه :

دُعيتُ أبا العَلاءِ، وذاكَ مَينٌ، ... ولكنّ الصّحيحَ أبو النزول [٢٣]

هذه الجوانب ساعدتنا مجتمعةً على فهم حياته من جهة ومن جهة ، أخرى جعلت الاغتراب عنده أكثر فعالية، إذ إن الحياة البائسة التي عاشها حتى النهاية فرضت عليه استشعاراً بغربة ذاتية دائمة . فهو لم يأت إلى هذه الدنيا إلا ليتعذب ويشقى ، وإنَّ مجيئه إلى هذه الحياة جناية جناها أبوه بحقه وهذا الاغتراب الفاعل فهو يقول :هذَا جناه أبى علىّ ... وَمَا جنيتُ على أحدٍ [٢٤]

الاغتراب عند أبي العلاء يتفاعل مع فطرته ونظرته للحياة ، إذ هو مفهوم يستمد من فلسفة مرتبطة بالدين والمجتمع والسياسة وغير ذلك هذه الأشياء جعلته يقيد نفسه بقيود اغترابية نادرة لم يقيدها غيره على نفسه من قبل ، هذا القيد لم يكن سلبيا فعلى الرغم من الإحباط والعزلة الجسدية كان عقله طليقاً .إن الذي يتابع شخصيته يدرك أنها كانت مركبة المزاج فمن جهة متواضع زاهد ، ومن جهة ثانية يعتز بنفسه كثيراً . إذ هو يعيش في صراع ، ولعدة أسباب ذاتية واجتماعية، وغير ذلك. لقد كان ناصحاً مؤمناً يعي ما يقول، ومتفهماً ومدركاً لما حوله، وعقله أساس ذلك كله، لهذا كان مفهوم الاغتراب عنده ينطلق من الذات الجسدية الفكرية ، الذات الجسدية المحرومة المعذبة والذات الفكرية المبتلية بالعادات السيئة البالية والأساليب الخاضعة للهوى والغريزة ، وهذا ما يتنافى مع طبعه وخلقه إن مفهوم الاغتراب عند أبي العلاء مفهوم واعي على الرغم من عزلته والسخرية أهم مقوماته، إذ هي سلاحه لمحاربة الواقع المرير من أجل النفاذ إلى الحياة الحرة الكريمة يقول:

يَحسُنُ مَرأى لِبَني آدَمٍ ... وَكُلُّهُم في الذَوقِ لا يَعذُبُ
ما فيهِمُ بِرٌّ وَلا ناسِكٌ ... إِلّا إِلى نفعٍ لَهُ يَجذِبُ
أَفضلُ مِن أَفضلِهِم صخرَةٌ ... لا تَظلِمُ الناسَ وَلا تَكذِبُ [٢٥]

إن مفهوم الاغتراب عنده لم يتوقف عند الذات العاقلة وحسب بل كان يسعى إلى تحقيق بنية بعيدة عن الانفصام والشذوذ، قريبة إلى العدالة والاستقامة، وإعطاء كل ذي حق حقه .

الاغتراب عن الناس

تذمّر أبو العلاء من أبناء زمانه، إذ هو يرى الناس الذين حوله بمختلف فئاتهم فاسدين فذمهم، وأعلن عدم رضاه عنهم، بسبب ضياع المعايير الخلقية الاجتماعية التي أضاعت بدورها العلاقات الإنسانية . فالمبادئ تغيرت وتمزقت روحها بسبب رغبات النفس وتهالكها على الدنيا فهو يقول : (الناس في هذا العصر يظهرون الزهد في الدنيا وهم أشرار يرغبون فيها)[٢٦]

إن الغربة الاجتماعية تزداد في نفسه كلما أزداد أصحاب السفه والرذيلة الذي كان ينهى عنهم ولا يريد مجالستهم يقول :

فرَجِّ العيشَ مِنْ صَفْوٍ ورنقٍ ... ودَعْ شَجَنيكَ من هِندٍ ودعدِ
ولا تَجْلِسْ الى أهلِ الدنَّايا ... فإنّ خَلائقَ السّفَهاءِ تُعدِي [٢٧]

إن الاغتراب الاجتماعي لدى المعرّي يتجسد في كثرة المفاسد، وانتشارها، وشيوع الكذب والخلاعة والنفاق، وزيادة الفقر وغير ذلك، بسبب الظلم والحرمان ، وغياب العدالة أو فقدانها، هذه العوامل تزيد إلى الاغتراب اغتراباً يجعلهم غير راضين . فبسبب غضبه وسخطه عن الناس انفرد عنهم بعيدا، عازفا عن الدنيا وملذاتها، ليعيش حياة زاهدة مغتربة بكلّ خصائصها لم تخدعه مظاهر الغش والنفاق التي يمارسها بعض الناس فهو يستشعر بها ويحددها لكنه لا يستطيع أن يقدم أو يفعل شيئا لأهله وناسه يقول :

قد ينصفُ القومُ، في الأشياء، سَيّدَهم، وَلَوْ أطاقوا لهُ رِيباً لرابُوه
لم يقدروا أن يلاقُوُه بِسَيّئةٍ من الكَلامِ، فلمّا غَاب عابُوه
تَحَدّثوا بمَخازيهِ، مكتمَةً، وقابَلوهُ بإجلالٍ، وهابوه
وكم أرادوا لهُ كيداً بيومِ ردىً، من الزّمانِ، ولكنْ ما أصابوه
أكدَى، فَلاموُه لما قَلّ نائلُهُ، ولَو حَبا الوَفرَ زاروهُ ونابوه
صبراً قليلاً، فإنّ المَوتَ آخِذُه، وما يخلَّفُ لا صقرٌ ولا بوه
لَبى الغنيَّ بنو حَوّاءَ، من طَمَعٍ، ولو دَعاهمْ فَقِيرٌ ما أجابوه (٢٨)

ولعلّ من أهم تجليات الاغتراب الاجتماعي عنده تكمن في معاناته الواسعة من رجال الدين النّساك الذي سخط عليهم واعتزلهم ؛ لأنهم في الظاهر أهل وقار وورع لكن الحقيقة غير ذلك .

لم يغترب المعرّي من الدين القويم بل من أولائك الذين يسخرون الدين لمصالحهم رغم أساليبهم المنحرفة يقول :

وقد فتشتُ عن أصْحَابِ دينٍ لَهُمْ نُسكٌ وليسَ لَهُمْ رياءُ (٢٩)

يبدو أن أبى العلاء لم يجد ما يصبو إليه، وأخفق في تفتيشه في الحصول على المراد . بل وجد علماء دين منافقين يتكلمون في الصلاح ويدعون للتقوى والنسك، وفي قلبوهم طمعاً وجشعاً وحباً للمال، أي إنهم يقولون ما لا يفعلون مما أجاز لنفسه بالهجوم عليهم في مثل قوله

ولَيسَ عِندَهُمُ دينٌ وَلا نُسُكٌ فَلا تَغِرَّكَ أَيدٍ تَحمِلُ السُّبُحا
وَكَم شُيوخٍ غَدَوْا بيضاً مُفارِقُهُمْ يُسبِّحونَ وَباتوا في الخنى سُبُحا (٣٠)

ويقول في موضع آخر :

شكوتُ، من أهل هذا العصر، غدرَهمُ لا تُنكرَنْ، فعلى هذا مضى السّلفُ
وما اعترافي بعيبِ الجنسِ مَنقصة، والعينُ يُعرَفُ، في آنافها، الذَّلفُ
أمسى النّفاقُ دروعاً يُستجَنُّ بها من الأذى، ويقوّي سَرْدها الحَلِف
إذا تخلّفتُ، أو خُلّفتُ عن أمَلٍ، سلّى هُمومِيَ أني ليسَ لي خَلَف (٣١)

يعيش المعرّي في حالة اغترابية ليس لها مثيل، بسبب رواج بضاعة الكذب والنفاق . حتى أصبح ذلك علاقة تقطع بها الأنوف ولاسيما عند انتقائه للعدل عند القضاة وأصبحوا يقبلون بشهادة الزور، وإصدار الأحكام الباطلة .وقد ذمّ أصحاب المنابر الذين كانوا يمدحون الحكام ويصفونهم بصفات لم يكونوا أهل لها ولا يستحقونها ،إذ كانوا يقولون عنهم إنهم أهل تقوى وهداية وغير ذلك من الصفات التي تقربهم إلى قلوب الناس، على حين إنهم وبحسب ما يرى أهل هوى وضلال يقول :

ما أجهلَ الأممَ، الذينَ عرَفتهُمْ ولعَلّ سالفَهُمْ أضلُّ وأتبر
يَدْعونَ في جُمَعاتهمْ، بسفاهةٍ، لأميرهمْ، فيكادُ يَبكي المِنْبر (٣٢)

قد يبكي المنبر والسبب هو زور الخطيب وضلالته، فهو الذي يرائي الناس ويخدعهم عن طريق تزييف الحقائق والانقلاب عليها، ويقول في موضع آخر :

تَوَهَّمتَ يا مَغرُورُ أَنَّكَ دَيّنٌ عَلَيَّ يَمينُ اللَهِ ما لَكَ دينُ
تَسيرُ إِلى البَيتِ الحرامِ تَنَسُّكاً وَيَشكوكَ جارٌ بائسٌ وَخَدينُ (٣٣)

فالشاعر هنا يشعر بالنفور وعدم الرضا من الذين نصبوا أنفسهم على الأمة وعلى تعاليم دينها فخباياهم كبيرة ، وأخطائهم كثيرة لذا فهم أحق من غيرهم بالذم لمخالفتهم تعاليم الدين فالشر والنفاق تأصل فيهم ولم يسلم منه أحد يقول :

ما أسلَمَ المسلمون شرَّهُمُ ولا يهودٌ لتوبةٍ هادوا
ولا النّصارى لدينهم نصروا، وكلّهُمْ لي بذاكَ أشهاد (٣٤)

وله في اختلاف أصحاب المذاهب قوله :

أَجازَ الشافِعِيُّ فَعالَ شَيءٍ وَقالَ أَبو حَنيفَةَ لا يَجوزُ
فَضَلَّ الشيبُ وَالشُبّانُ مِنّا وَما أَهتَدتِ الفَتاةُ وَلا العَجوزُ (٣٥)

فما بين يجوز ولا يجوز عمّ البلاء، وابتعد الناس عن الصواب و الهداية، فضاعوا بين فقهاء المذاهب وآرائهم. إن اختلاف أصحاب المذاهب يدلُّ على اختلاف المذاهب نفسها إذ يقول في المعتزلة :

ومُعتَزِليٍّ لم أُوافقْهُ، ساعةً، أقولُ له: في اللّفظِ دينُكَ أجزل[٣٦] ويقول في الأشاعرة :

استَغفِرِ اللهَ واترك ما حكى لهمُ أبو الهُذَيلِ وما قال ابنُ كَلاّبِ [٣٧]

وفي الصوفية يقول :

صوفيةٌ شهدت للعقل نسبَتُهم بأنهُمْ ضأنُ صوفٍ نطحُها يقصُ [٣٨]

إن اغتراب المعرّي هو اغتراب من رجال الدين ومواقفهم يتجسد في انزعاجه وتوتره الشديد فيما رآه منهم .فالمتصوفة يجارون بالمظاهر الحسنة فيخدعون الناس، على حين إنهم منغمسون بالكذب انغماساً . لأن المتصوف يجب أن يتخلى عن الرذائل، ويتحلى بالفضائل، ويسموا بالروح، ويزكي النفس، ويجعل قوام سلوكه الزهد والتقشف، علما إنهم يعتقدون بالوصول إلى الحقيقة بغير طريق العقل [٣٩]. يقول :

صوفيّةٌ ما رَضوا للصوفِ نِسبَتَهم حتى ادّعَوا أنّهم من طاعةٍ صُوفُوا

تَبارَكَ اللّهُ، دَهْرٌ حَشْوُهُ كَذِبٌ، فالمرءُ منا بغَيرِ الحَقّ مَوصوفُ

إنْ أثمَرَ الغُصنُ، فامتدّتْ إليهِ يَدٌ تجنيهِ ظُلماً، فليتَ الغصنَ مَقصوفُ [٤٠]

ويقول في موضع آخر :

تزَيّوْا بالتّصوّفِ، عن خِداعٍ، فهل زُرتِ الرّجالَ، أو اعتَميت؟

وقاموا في تواجُدِهم، فداروا، كأنهُمُ تِمالٌ من كُمَيت [٤١]

إن هجوم المعرّي هذا موجه إلى الدجالين المارقين الذين يدعون التصوف، في حين هم بعيدون عنه، فقد اتخذوه زينة وخداع للوصول من خلاله إلى قلوب الناس وتحقيق غاياتهم ، فالنصوص السابقة تكفي بأن نرى السخرية والتهكم الشديدين من المتصوفة وادعيتهم التي جوبهت برفضه لسلوكهم ، فهذه النصوص تمثل حالة اغترابية تؤكد توجه أبي العلاء وموقفه الرافض من المتصوفة كأفراد وليس من التصوف كمذهب، والدليل قوله : (حتى ادعوا إنهم في طاعة صوفوا) فالمعري يبحث ويريد تصوف يحقق طموحه ، ويلبي أفكاره للوصول إلى الدين الصافي الخالي من الغش والخداع ، ولكن يبدو أن بحثه لم يجدِ نفعاً ، لذلك تعالت صيحاته ونبرة اغترابه بلغة شعرية موحية في الوصف الساخر.إن سلوك رجال الدين مغاير لسلوك التنشئة الاجتماعية والدينية المحقة، وهذا الذي جعل المعري يعاني اغتراباً كبيراً أدى به إلى الثورة على كثير منهم إذ قال في هذا الشأن :

قد اختلّ الأنامُ بغيرِ شَكٍّ فجدّوا في الزّمانِ وألعَبوهُ

ويَنشأُ ناشيءُ الفتيانِ، مِنّا على ما كانَ عَوّدَهُ أبوه

وما دانَ الفتى بحجًا، ولكنْ يُعلّمُهُ التّدَيّنَ أقرَبوه

وجاءَتنا شرائعُ كلّ قومٍ على آثارِ شيءٍ رَتّبُوه

وغَيّرَ بَعضهُمْ أقوالَ بَعْضٍ وأبطَلَتِ النُّهى ما أوْجَبوه

فلا تَفرَحْ، إذا رَجّبتَ فيهمْ فقد رَفَعوا الدّنيَّ، ورَجّبُوه[٤٢]

فهذه القطعة الشعرية تمور باغتراب يتفاعل فيه القلق والتوتر، بسبب فساد العقيدة وخبثها ما جعل نفس المعري تنفر عن مجارات أهل الدين وممارساتهم في التدين والسلوك، واستطاع أن يصوغ قناعته ويقينه الدينيين في فنٍ جميل مثيراً دون الاحتراز من أي شيء، وهذا الذي أدى إلى اتهامه في صحة مذهبه وعقيدته [٤٣]. لم يقف المعرّي في اغترابه عن الناس عند المتصوفة، وأهل الدين فحسب بل ذهب ابعد من ذلك، فقد اغترب من أهل الأدب والشعراء فهاجم ممن أخل بوظيفته وشهّر به في مثل قوله :

بني الآداب غرّتكمْ، قديماً زخارفُ مثلُ زمزمةِ الذُّبابِ

وما شعراؤكم إلاّ ذئابٌ تَلصصُ في المدائحِ والسّبابِ

أضرُّ لمن توَدُّ من الأعادي وأسرَقُ، للمقالِ، مِنْ الزَّبابِ

أُقارِضُكم ثناءً غيرَ حقٍّ كأنّا منهُ في مَجرى سِباب

وما سُمُّ الحُباب، لديّ، إلاّ كنَظمٍ قيلَ في آل الحَباب (٤٤)

فالشعراء على أبواب الملوك والحكام أذلاء ، سخّروا شعرهم من أجل التكسب، أو من أجل أعلاء شأن هذا الأمير أو ذاك – من خلال قلب الحقائق التي يكاد يعرفها الجميع. أما أبو العلاء ذاته فقد نأى بنفسه عن هذه الصفات فهو (أبي كريم النفس، لم يطرق مسامع الرؤساء من نشيد ، ولم يمدح طلبا للجوائز والمكافآت ، ومن هنا كان إحساسه المر بالاغتراب عنهم وكان إعلانه في الأبيات السابقة. إنّ مديح هؤلاء الذين أدمنوا على شرب الخمرة حتى الثمالة يساوي في ألمه ووقعه على نفسه السمّ الزعاف) (٤٥). لم يتوقف اغتراب المعرّي عند حدود الانفصال من أهل الأدب وحسب ، بل سخر وتشاءم منهم يقول:

تَكسّبَ الناسُ بالأجسام، فامتهنوا أرواحَهُم بالرّزايا في الصّناعات

وحاولوا الرّزقَ بالأفواه، فاجتهدوا في جَذب نفعٍ بنظمٍ أو سِجاعات (٤٦)

كان أبو العلاء أديبا لا يرضى بأخلاق كثيرا من الأدباء، فذمهم ونأى بنفسه عنهم، فهو أديب لا يفسق ولا يدعو إلى الفسوق ، يقول:

فرقاً شَعرتُ بأنها لا تقتني خيراً وأنّ شرارَها شُعَراؤها (٤٧)

لقد (اضطرب كلّ شيء في نظره، إضطربت مقاييس الحياة، واختل النظام ، ولم يعد ينظر الى الحياة إلاّ هذه النظرة السوداء البغيضة التي فيها خيوط فلسفته التشاؤمية) . (٤٨)

ويستمر المعري في ترديد سخطه على الناس. إذ إن للنساء نصيباً وافراً ، وأن أكثر ما يثيره تبرجهنّ وغوايتهنّ، فضلاً عن غدرهنّ وخيانتهنّ ففي أنغام مغيظة عليهن يقول:

ألا إنّ النساءَ حبالُ غَيٍّ، بهنّ يُضيَّعُ الشرَفُ التليد (٤٩)

فبسبب نظرته هذه اقلع عن الزواج بشكل نهائي يقول:

تَواصَلَ حبلُ النّسل ما بين آدمٍ وبيني، ولم يُوصل بلامِيَ باء (٥٠)

لم يكتف بإقلاعه عن الزواج بل راح يدعو الرجال وينصحهم بالابتعاد عن النساء، وعدم الزواج منهنَّ يقول :

أشدُدْ يدَيكَ بما أقو لُ،فقَولُ بعضِ النّاسِ دُرُّ

لا تَدنُوَنّ مِنَ النّسا ءِ، فإنّ غِبّ الأرْيِ مُرّ

والباءُ مثلُ البَاء، تَخ فِضُ للدّناءَةِ أوْ تَتجُرّ (٥١)

فالشاعر يريد أن يقول إن المرأة تسحب أو تجر الرجل إلى ما لا يريد الجر إليه، وتحطّ من شأنه، وتنزل مكانته مثلما يجرّ الاسم بحرف الجر، ثم بعد ذلك ينصح ويقول: إن كان لا بدّ من الزواج فخير الناس من لا تنجب فيقول :

إذا شِئتَ يَوماً وَصلَةً بِقَرينَةٍ فَخيرُ نِساءِ العالَمينَ عَقيمُها (٥٢)

فهذا الاغتراب أو الموقف نابع من صميم ذاته وحياته الملتوية، إذ أنتجت صوراً اغترابية ملتصقة بفلسفة تشاؤمية رأسية في نفس عانقت فلسفة التنسك والزهد لديه.ففي موقف غريب أسس المعرّي لاغتراب مضطرب مؤرق إذ هو يرى أنّ الموت أفضل من الحياة التي تجر الناس إلى الويلات (٥٣). وهذا يعطي تفسيرا لمفهوم عدم الزواج والإنجاب ، وهذه رؤية مجافية للصحيح وجوهره، إذ انه يرى الدنيا ومساوءها مشابهة للمرأة ، مما جعله يدعو إلى حجب النساء عن العمل والاختلاط، وأن توظف وقتها في إدارة شؤون دارها، وان تقوم بالعبادة وغزل الصوف عند الفراغ، أما العلم فلا حاجة إلا للقليل منه، كأن تتعلم من قصار السور سورتين تتلوها عند الصلاة يقول:

ولا تَحمد حِسانَك، إن توافت بأيدٍ، للسّطور، مقوِّمات

فحملُ مغازلِ النّسوان أولى ، بهنّ، من اليراع مقلَّمات

سهامٌ، إن عرفن كتابَ لِسنٍ رجَعنَ، بما يسوءُ، مُسمَّمات (٥٤)

ويقول:

عَلموهُنَّ الغَزلَ وَالنسجَ وَالرِّدْ نَ وَخَلّوا كِتابَةً وَقِراءَه

فَصلاةُ الفَتاةِ بِالحَمدِ وَالإخ لاصِ تُجزي عَن يونُسَ وَبَراءَه

تَهتِكُ السِترَ بِالجُلوسِ أَمامَ السِ تر إِن غَنتِ القِيانُ وَراءَه (٥٥)

لم يثق المعري في تجمع النساء كثيراً، حتى لو كان في المساجد ، فإن اجتماعهن من أسباب الغواية يقول :

وليس عكوفُهنّ على المصلىّ أماناً من غوارٍ مُجرمات (٥٦)

إن موقفه المغترب من المرأة ينطلق من صميم عقله القلق، إذ هو لا يثق بامرأة على الإطلاق، وإذا كان ولا بدّ من الزواج فعلى الزوج عزل زوجته في بيتها فقط للعناية بالأطفال ، وإرضاعهم فيقول:

العيشُ ماضٍ، فأكرِمْ والدَيكَ بهِ، والأُمُّ أوْلى بإكرامٍ وإحسانِ

وحَسبُها الحملُ والإرضاعُ تُدْمِنُهُ أمرانِ بالفَضْلِ نالا كلَّ إنسانِ (٥٧)

إنّ موقفه المعادي للنساء وكرهه الكبير لهنّ جعله يعتزلهنّ، ولا يفكر بإحداهنّ من هنا يدعو العاقل ويرشده بأن لا يتزوج إلاّ من امرأة عقيم لا تنجب، لأنّ النسل بحسب ما يرى جناية الآباء على الأبناء يقول:

هذا جناه أبى علىّ وَمَا جَنَيتُ على أحدٍ (٥٨)

لم يقتصر هجوم المعري على أهل الدين والنساء وحسب بل فرض على نفسه عزلة عن باقي البشر، إذ هو يشكّ في وجود إنسان طاهر، لان ما رآه من فساد بين الناس، جعل شكّه أو غربته تتحول إلى صيحةٍ علنيةٍ أطلقها، ليؤكد من خلالها لا وجود للإنسان الجيد والنزيه فيقول:

أيوجَدُ، في الورى، نفرٌ طَهارى، أمِ الأقوامُ كلُّهمُ رُجُوسُ؟ (٥٩)

ويقول في موضع آخر:

قالوا :فلانٌ جيدٌ لصديقة لا يكذبوا مافي البرّية جيَد (٦٠)

يستمر المعري في ذم عامة الناس من أهل عصره ويغترب عنهم، إذ يرى أنّ الشر قد تأصل في نفوسهم منذ خلقوا ، ورثوه عن أجدادهم القدماء ، وأصبح طبعا يتطبعون به يقول:

والشرُّ في الجدِ القديمِ غَريزةٌ في كلِ نفسٍ منِهُ عرقٌ ضاربُ (٦١)

ويقول في موضع آخر :

الشرُ طَبعٌ ودُنيا المَرءِ قائدةٌ الى دناياهُ ولأ هواءُ اهوالُ (٦٢)

ويقول أيضا:

مضى الزّمانُ ونفسُ الحَيّ مُولَعَةٌ بالشرّ من قبلِ هابيلٍ وقابيلِ (٦٣)

وهكذا فإن أبا العلاء أدرك عمق الهوة بينه وبين أبناء زمانه، بين إنسان كريم النفس حر التفكير رقيق المشاعر، ومجتمع قد تأصل الشر فيه وأصبح جزءاً من ثقافته ، فمعاناته وآلآمه جعلته يغترب وينأى بنفسه عنه، فأهل الدين، والنساك، والشعراء والأدباء، والنساء، والناس أغلبهم بين كاذب شرير أو دجال مارق إذ إنّ المجتمع بكلّ طوائفه تحول عند المعرّي إلى غرفة تشريح يكشف من خلالها العلة ومن ثم الدواء، ولكن يبدو لا جدوى من ذلك ولا أمل في إصلاح مجتمع فاسد يقول:

داءُ هذا الأنامِ لاَ يقْبَلُ الطّبَّ وقدماً أراهُ داءً نجيسا (٦٤)

الاغتراب عن عادات المجتمع العباسي واعتزال بعض مأكله وملبسه.

اختلت الموازين وبدلت بعض الأعراف وانحرفت قيم الرجولة في المجتمع العباسي. وطغت عليها القيم والعادات السيئة، ووصل الحال إلى من لا يواكب الانحراف وينحرف يتلفت يميناً ويساراً ولا يرى سوى الأعمال التي تثير الدهشة والاستغراب، فالعقل عبء ، والصدق مذمة ، والحقيقة كذب، والاستقامة انحراف، لذا فإن أصحاب النفوس النبيلة يشعرون بالاغتراب عن باقي البشر، وشاعر المعرّة أبو العلاء بلهجة تشاؤمية حزينة ينتقد أبناء زمانه فيقول:

قدّ فقِدَ الصّدق وماتَ الهَدى واسْتَحْسِنَ الغدرُ وقلّ الوفاءُ

واسْتَشْعرَ العاقلُ في سقِمهِ ان الردى مما عناه الشفاء (٦٥)

فالحياة تعيسة ليس لها معنى طالما الإنسان فيها يخفي الخير والهدى ويجهر في أعلى صوته بالبغي والضلالة، ويفخر بجهره وإخفائه يقول:

أما هدىً فَوجدْتهُ ما بَينا سراً ولكَّن الضّلالَ جهار (٦٦)

لعل الاضطراب الحاصل في الحياة الاجتماعية مرتبط إلى حد كبير بالحالة الاقتصادية، إذ إن المال وفير والنعيم كثير، لكنه لا يتجاوز

قصور الخلفاء والأمراء، أما باقي الشعب فهو بائس فقير، هذا الرأي أكده عبد القادر زيدان في قوله : (كان هناك طبقتان متميزتان كل التمييز ، فالخليفة ورجال دولته وأهوالهم وإتباعهم طبقة الخاصة، وهو عدد قليل بالنسبة لمجموع الأمة، وبقية الناس، وهم الأكثر طبقة العامة من علماء وتجار وصناع ومزارعين ورعاع، وأغلب هؤلاء فقراء إلا من اتصل منهم بالخلفاء والأمراء) [٦٧] أشار المعرّي إلى بؤس الفقير، وكيفية ركنه جانبا من دون أي اهتمام يذكر به في قوله:

يغدو الفقير وكل شيء ضده والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة خضعت إليه وحركت اذنابها
وإذا رأت يوما فقيرا عارياً نبحت عليه وكشرت انيابها [٦٨]

للفقر عقدة نفسية واثر كبير على الإنسان (وقد استعان الباحثون بعلم النفس وهم يتحدثون عن عقدة الفقر، وكيف يكون تأثيرها على الأفراد، ودفعها إياهم بحثا عن الطريق إلى الثراء ، في محاولة لتحقيق نوع من المساواة النسبية تبعا لما يحققون من ثروة تأتي بها غزواتهم المستمرة) [٦٩]. وقد فسر أبو العلاء الظلم بعد الشعور به في قوله :

غِنى زيدٍ يكونُ لفقر عَمْروٍ وأحكامُ الحوادِثِ لا يُقَسَنَهْ [٧٠]

إن خيرات الأرض محصورة للبعض، والظلم مصدر حصرها ، والناس ليسوا منصفين لا يعطون الحق لأهله، ويغالون في الثناء على من لا يستحقون ، لقد كثر أمثال هؤلاء وقل المنصفون حتى وصل الحال بالمعرّي إلى الشوق على أناس منصفين يعطون الحقَّ لأهل يقول :

من ليَ أن أَقيمَ في بلدٍ، أُذكَرُ فيه بغير ما يجبُ
يُظَنُّ بيَ اليُسرُ والديانةُ والعل مُ، وبيني وبينها حُجبُ
أقررْتُ بالجهل، وادّعى فَهَمي قومٌ، فأمري وأمرُهم عجبُ [٧١]

وفي عصر أبي العلاء انتشرت القيم المنقوصة، وقل الوفاء، وانعدمت الثقة بين الناس بل أصبحت صعبة مستحيلة كاستحالة عوده الشباب بعد المشيب يقول :

وليس صبِا يُفادُ وراء شَيبٍ بأعوَزَ مِن أخي ثِقَةٍ يُفاد [٧٢]

وقد ساد الجهل كثيراً، ووصل الحال الى تصديق الكذب وما لم يصدق يقول :

قد صَدّقَ النّاسُ ما الألبابُ تُبطِلُه حتى لظنّوا عَجوزاً تحلُبُ القمَرا
أناقةٌ هو أمْ شاةٌ، فيمنَحَها عُسّاً تغيثُ به الأضيافَ، أو غُمرا [٧٣]

والاغتراب الفكري عند أبي العلاء قوي ورائج، والسبب يعود لتحكم العقل في طرحه للأفكار والمسائل التي وصلت إليه منذ زمن بعيد عند طريق الرواية والنقل فهو يقول :

لقد صَدِئَتْ أفهامُ قَومٍ، فهَلْ لها صقالٌ، ويحتاجُ الحسامُ إلى الصّقلِ؟
وكم غرّتِ الدّنيا بنيها، وساءَني مع النّاس، مَينٌ في الأحاديثِ والنّقل [٧٤]

المعرّي يثق بقدرة العقل على الإبداع والإتيان بما هو جديد ، ولا يتفق مع من يرى أن القدماء استحوذوا على كل شي فتركوا المحدثين في حيرة ومحنة من أمرهم يقول :

وَإنّي وَإنْ كُنْتُ الأَخِيرَ زَمَانُهُ لآتٍ بِما لَمْ تستَطِعْهُ الأَوائلُ [٧٥]

فقوله : (وإن كنت الأخيرة زمانه كلام لم يدفع به إيهاماً إلا أنه زيادة أفادت التنبيه ، على أن المتأخرين قد يأتون بما لم يأت به المتقدمون، وأن مقولة ما ترك الأول للأخير شيء

مقولة غير صحيحة) [٧٦].لقد (أنكر أبو العلاء هذه الحياة من حوله ودعا إلى إصلاح المجتمع وتغيير المنكر فيه) ، [٧٧] والذي يتأمل ديوانيه يجد عدداً من النصوص التي تؤكد اغترابه في مجمعته ، ففي بعضها شكوى وتحسر ، وفي البعض الآخر رفضا لأوضاع فاسدة. إن التناقص الحاصل في المجتمع وتفاوته في الحياة الاقتصادية كان طبيعياً ، وهذا هو حال الشاعر عندما يكون غريباً في بلده. ومن يتأمل ديوانيه أيضا يجد عدداً كبيراً من المفردات المعبرة عن اغترابه منها على سبيل المثال : لؤم ، غواة ، حيلة ، شر ، داء ، بؤس

،ذئاب ، ذباب ، ظلم ، جهل ،مارد ، مغرور وغير ذلك ، ومن العبارات : فقد الصدق ، الأقوام كلّهم رجوس ، استحسن القدر وقل الوفاء ، وغير ذلك . هذه الجمل والمفردات تؤكد نظرة المعري التشاؤمية من الحياة التي قرر الانعزال عنها . هذا وقد اتخذ أبو العلاء طقوساً مختلفة في حياته وطباعه ففي ملبسه ومشربه ومأكله عادات غريبة . إذ هو يلبس خشن الثياب ، ويجلس عل الحصير المصنوع من البردي أو قطعة لباد ، وطعامه منذ البدء النبات كالعدس المطبوخ يقول : يقنِعُني بُلْسُنٌ يُمارَسُ لِي فإنْ أتَتْني حَلاوةٌ فَبلَسْ [٧٨]وقد جاء برسالته إلى داعي دعاة مصر : (فلما بلغ العبد الفقير اختلاف الأقوال وبلغ ثلاثين عاماً سأل ربّه أنعاما فرزقه صوم الدهر ، فلم يفطر في السنة ولا في الشهر إلا في العيدين ، وظن أن اقتناعه بالنبات يثبت له جميل العافية ، فاقتصر على فول وبلسن ، وما لا يعذب على الألسن)[٧٩]قيل إن المعرّي ترك أكل الحيوان وما ينتجه، وقيل انه ترك اللحم خمساً وأربعين سنة اجتهاد منه في التعبد، [٨٠] وكان يعيش في دار فقيرة لا تختلف عن دور بسطاء الناس ، المهم إنها تقية برد الشتاء وحرارة الصيف . على الرغم من أنه باستطاعته أن يأخذ من ولاة الأمر ما يريد لينعم في الحياة الدنيا . وقيل إن (المستنصر) خليفة مصر عرض عليه خراج بيت المال في المعرة فاعتذر وقال :

كأنّما غانةَ لي من غنىً فعدّ عن معدنٍ أسوانِ [٨١]

إن الاغتراب عند أبي العلاء يخرج ويغادر عن المألوف عند العامة والخاصة من الناس ، وهذه مفارقة بلغت الحد الأعلى للتنافر في الفلسفة الشعرية التي قرأنا عنها وحدثنا بها في عزوفه وامتناعه عن بعض الأطعمة فرؤيته الغريبة فرضت عليه تحريم لحوم الحيوانات ومنتجاتها الأخرى ، إذ هو يرى أنها حق أبنائها وليست حق المخلوقات الأخرى كالإنسان فيقول :

غدَوتَ مريضَ العقلِ والدّينِ فالقَني لتسمعَ أنباءَ الأمورِ الصحائحِ
فلا تأكُلْن ما أخرجَ الماء، ظالماً، ولا تبغِ قوتاً من غريض الذّبائحِ
وأبيَضَ أُمّاتٍ، أرادتْ صريحَه لأطفالها، دون الغواني الصّرائحِ
ولا تفجَعَنّ الطّيرَ، وهيَ غوافلٌ، بما وضعتْ، فالظلمُ شرُّ القبائحِ
ودعْ ضرَبَ النّحل، الذي بكرت له، كواسِبَ منْ أزهارِ نبتٍ فوائحِ
فما أحرزَته كي يكونَ لغيرِها ولا جمعَتْهُ للنّدى والمنائحِ
مسحْتُ يدي من كلّ هذا، فليتني أبَهْتُ لشأني، قبل شيب المسائحِ [٨٢]

وبهذا فإن المعرّي يستجيب لرؤيته الفطرية في مقاربته الحياتية البريئة غير المؤذية لما حوله ، إذ إن الامتناع الفني عنده لا يستند إلى فلسفة الاغتراب التي تدهش العقل وتستفزه ، وإنما يستمد ذلك من مقارباته الجمالية الفلسفية أيضا ، من المرواقة المشرقة لكراهيته سلوك الناس نحو تلك المخلوقات . فالذي يريح الناس يحزنها ، فإحساس المعري يصدر عن فلسفة استشعار ضعف الحيوان ، وما أدى به إلى مخالفة ظاهرة ألفها البشر، ومن خلال إقبالهم على اكل لحم الحيوان وبعض منتجاته . وإن اغترابه في ضوء سيطرة الإنسان على كل شي يكشف حجم المكابدة عنده .

الخاتمة :-

هكذا وبعد الرحلة المتواضعة في رحاب فاعلية الاغتراب الاجتماعي تبين أن من يتأمل شعر المعرّي يدرك أن العلاقة الاغترابية الاجتماعية النفسية هي جزء من العلاقة الاغترابية الثقافية ، إذ اقتضت فلسفته الفكرية مواجهة الوسط الثقافي .

– كانت صور الاغتراب عند المعرّي أسلوبا ثائراً عبر من خلاله عن تغيير الوضع الاجتماعي ، على وفق ما يرتئيه عقله ، على وفق شروط موضوعية ارتضاها لنفسه حتى أصبحت محل نزاع فكر اجتماعي بين المجتمع وبينه .

– في الاغتراب الاجتماعي أدت القيم الفاسدة والعادات السيئة دوراً بارزاً في إذكاء لهيبه عنده ، ومن ثم عزلته. كل هذا بسبب خوفه من الله وزهده وورعه وتقواه ، إذ إن الحياة مريرة حسبما يرى دار شرور لا يوجد فيها ما يسر أبدا .

– اثبت المعرّي باستمرار أنه يكره الغش ، والكذب ، والخداع ، والنفاق ، وعندما لم يستطع أن يغير شيئاً من هذا الواقع لم ينزلق في اغتراب داخلي نفسي ، بل استمر وفي كل جدارة انتقاد الناس وتصرفاتهم ، وعاداتهم انتقادا مريراً لاذعاً ، مما جعله علامة لامعة في الإبداع والفكر العربي .

– قدم المعرّي بعض القضايا السياسة وانتقد أصحابها ، إذ نادى بتحقيق العدل والابتعاد عن الظلم ، وتمنى بظهور حاكم عادل له القدرة

على التمييز بين الحق والباطل .

– إنّ وجود المعرّي مع الناس ومخالفته لهم جعلته يصبح غريباً منفصلاً ،على الرغم من أنهم ناسه وأهله وزمانه .

– أخيراً أقول : لعلي في هذا البحث أكون قد أسهمت ولو بقدر بسيط لا استكملت وجوه بحث الاغتراب عند المعرّي . بوصفه موضوعاً شائكاً صعباً ، ارجو له الاكتمال في المستقبل .

هوامش البحث

١– ينظر الاغتراب في الشعر العباسي (القرن الرابع الهجري) ، د.سمير سلامي ، دار الينابيع دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٠ م ، ص ٥٦ .

٢– ينظر المصدر نفسه ،ص ٣١ .

٣– الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية ، صبار نور الدين ، مجلة الموقف الادبي ، العدد ٣٥٥ ،اتحاد كتاب العرب ، سبتمبر ٢٠٠٣م. دمشق ، ١٩٨٢م . ص٤٠ – ٥٣ .

٤– ينظر لسان العرب لابن منظور ، تحقيق عبد الله علي الكبير ، محمد حسب الله ، دار المعارف ، القاهرة ، مادة غرب ، وينظر الغربة في الشعر الجاهلي ، د.عبد الرزاق الخشروم ، اتحاد الكتاب العرب ، د.ت ،ص ٤٠ –٥٣,

٥– ينظر لسان العرب مادة غرب .

٦– ينظر النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعرّي بين الفلسفة والدين ، سناء خضير ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، د.ت ، ص ٩٨ .

٧– ينظر الغربة في الشعر الجاهلي ص ٤٠ ، والاغتراب في الشعر العباسي ، القرن الرابع للهجري ، ص,٣٣

٨– ينظر الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري ص٢٣–٢٤

٩– ينظر المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٧٨ م ، ج١ ص٧٦٥ .

١٠– المعجم الفلسفي ج ١، ص ٧٦٥ ، والاغتراب في الشعر العباسي ، ٣٥ – ٣٨ – ٤٥

١١– العقد الاجتماعي، جان جاك روسو، ترجمة ذوقان قرقوط، دار القلم بيروت، د. ت ، ص٤١.

١٢– الاغتراب في الشعر العباسي في القرن الرابع الهجري، ص٣٠.

١٣– ينظر الاغتراب عند أبي حيان التوحيدي ، دراسة فلسفية من خلال الفكر الوجودي القاهرة ، العدد٣، ١٩٩٥م، ص٧٢

١٤– الاغتراب في الشعر الاموي ، فاطمه حميد السويدي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص ت ، المدخل.

١٥– الشاب العربي ومشكلاته ، عزت حجازي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٦ ص٧٢

١٦– لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) لابي العلاء المعري ، دار صادر ، بيروت. د. ت ، ج٢ ص٦٢٧

١٧– ينظر الإنصاف والتحري ص١٨

١٨– ينظر المعجم الفلسفي ج١ ص١٥٢

١٩– ينظر حديث الأربعاء ، طه حسين ، دار المعارف ، مصر، ط١١ ، ١٩٧٦م ج٢ ص١٣٧

٢٠– لزوم ما لا يلزم ، ج١، ص ٥٥٥.اشراني :باعني ،اشري :ابيع .

٢١– ينظر المعجم الفلسفي ج١، ص٢٤٧

٢٢ ينظر المهرجان الالفي لأبي العلاء المعري، مجموعة باحثين، دار صادر بيروت، د. ت، ص٢٠٢– ٢٠١٢

٢٣– لزوم ما لا يلزم ج٢ ص٣٤٨

٢٤– لم أجد البيت في ديوانية وقد ورد في . معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن أبو الفتح العباسي (ت٩٦٤ه) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ، ج١ ،ص ١٤٤.

٢٥– المصدر نفسه ج١ ص ١٠٧

٢٦– زجر النابح، لأبي العلاء المعري، جمع وتحقيق د. أمجد الطرابلسي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص٣٠

٢٧– لزوم ما لا يلزم ج١ ص٣٨٥، زج العيش : رم به واهجره، الرنق: الكدر، والشجن: الحزن.

٢٨– المصدر نفسه ج٢ ص٥٩٦ . نابوه :رجعوا إلية مرة بعد مرة

٢٩–المصدر نفسه ج١ ص٥١.

٣٠- لزوم ما لا يلزم ج١،ص ٢٩٢، وينظر في الشعر العباسي نحو منهج جديد، يوسف خليف، مكتبة غريب، ص١٨٢.

٣١- لزوم ما لا يلزم ج٢ ، ص١٥٤ .يستجن بها يستّر بها، سردها :نسجها

٣٢- المصدر نفسه ج١، ص٤٤٥ . أتبر :أهلك

٣٣- المصدر نفسه ج٢ ، ص٤٩٨ . الخدين :الصديق

٣٤- المصدر نفسه ج١، ص ٣٤٧ .اسلم عدوه : اخذله .هادوا :تابو ورجعوا إلى الحق

٣٥- المصدر نفسه ج١، ص٦٢٤

٣٦- لزوم ما لا يلزم ج٢،ص٢٦٠،وينظر النظرة الخلقية عند أبي العلاء المعري ص٤٥

٣٧- لزوم ما لا يلزم ج١ ص ١٥٥ .ابو الهذيل العلاف :احد علماء المعتزلة .ابن كلاب :عبد الله بن سعيد من متكلمي الاشعرية

٣٨- المصدر نفسه ج٢ ص ٨٢ .يقص :يدق العنق

٣٩- ينظر المعجم الفلسفي ج١ ٢٨٢- ٢٨٤

٤٠- لزوم ما لا يلزم ج٢ ص١٥٥

٤١- المصدر نفسه ج١ ص٢٤٠ .اعتميت :اخرت .التواجد :التوله .ثمال :سكارى .الكميت : الخمرة

٤٢- المصدر نفسه ج ٢ ص٦٠١

٤٣- ينظر الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن ابي العلاء المعري ، حرفوش، دار الجولان للطباعة ، دمشق م ص٣٩

٤٤- لزوم ما لا يلزم ج١ ص١٦٥-١٦٦ .الزباب :فأرة كبيرة صماء يضرب بها المثل في السرقة .الحُباب : الحية .الحَباب :الخمرة

٤٥- الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص١٧٢

٤٦- لزوم ما لا يلزم ج١، ص ٢٢٧

٤٧- المصدر نفسه ج١، ص٥٤

٤٨- أبو العلاء المعرّي حياته وشعره، طه حسين، دار النفس للنشر والتوزيع، د. ت، ص١٢

٤٩- لزوم ما لا يلزم ج١ ص٣٣٧

٥٠- المصدر نفسه ج١ ص٤٢ لام : شخص الإنسان، الباء: الزواج

٥١- المصدر نفسه نفسه ج١ ص٤٧٥ . الباء : النكاح

٥٢- لزوم ما لا يلزم ج٢ ص٣٩١ .العقيم :التي لا تحمل

٥٣- ينظر مع أبي العلاء في سجنه، طه حسين، دار المعارف، مصر، ط١٣ ١٩٨١ م، ص١٩٤

٥٤- لزوم ما لا يلزم ج١ ص٢٣٦ . كتاب لسن :كتاب لغة

٥٥- المصدر نفسه ج١ ص٦٣ .الردن : الغزل والتنضيد .تجزي :تغني .اكدى :قل خيرة وافتقر

٥٦- المصدر نفسه ج ١ ص٢٣٦ .الغواري : الخادعات

٥٧- المصدر نفسه ج٢ ص٥٥٤

٥٨- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ج١ ،ص ١٤٤

٥٩- لزوم ما لا يلزم ج٢ ص٢٩

٦٠- المصدر نفسه ج١ ص٣٣٩

٦١- المصدر نفسه ج١ ص١٠٥

٦٢- المصدر نفسه ج٢ ، ٢٦٦

٦٣- لزوم ما لا يلزم ج٢ ص٣٣٦

٦٤- لزوم ما لا يلزم ج٢ ،ص٣٩، وينظر في الشعر العباسي نحو منهج جديد ص١٨٤

٦٥- لزوم ما لا يلزم ج١ ص ٧١ . مما عناه : مما اهمه

٦٦- لزوم ما لا يلزم ج١ ص٤٦٥

٦٧- قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، عبد القادر زيدان، دار الوفاء، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٨٢

٦٨- مصادر دراسة أبي العلاء المعري، مصطفى صالح كشاف، مطبعة العلم، دمشق، ١٩٧٨م. ص٣٢٦.

٦٩- التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، عبد القادر عبد الحميد، دار الوفاء ، ط١، ٢٠٠٣م، ص١١٣

٧٠- لزوم ما لا يلزم ج٢ ص٥٢٥

٧١- المصدر نفسه ج١ ص١١٠

٧٢- سقط الزند، أبو العلاء المعرّي، دار صادر، بيروت، لبنان. ط١، ١٩٨٠ م. ص٨٠

٧٣- لزوم ما لا يلزم ج١ ص٤٩٧ . العس :القدح الكبير . الغمر :القدح الصغير

٧٤- المصدر نفسه ج٢ ص٣١٧

٧٥- سقط الزند ص١٩٣

٧٦- البلاغة العربية ، عبد الرحمن الدمشقي ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط، ١٩٩٦ م ، ج٢ ص٩٠

٧٧- قراءة النقد والأدب ، مصطفى البشير قط ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٨، ص٨٢

٧٨- لزوم ما لا يلزم ج٢ ص ٧٠ . بلسن :٤

٧٩- الإنصاف والتحري ص ٧

٨٠- ينظر المصدر نفسه ص٧

٨١- ينظر تعريف القدماء بأبي العلاء ، دار الكتب المصرية ،القاهرة ،١٩٤٤ م ص٩٩ ، وينظر لزوم ما لا يلزم ج٢ ص٥٦٧

٨٢- لزوم ما لا يلزم ج١ ص٢٩٥ – ٢٩٦. الغريض :الطري من اللحم. الأبيض :اللبن. الصرائح : الخالصات في الحسن .الضرب :